

## سِفْرُ أَيُّوبَ

### المحاضرة ١٠: بهيموث ولويثان

ديريك توماس

نَحْنُ الْآنَ فِي الْمَحَاضِرَةِ ١٠ مِنْ دِرَاسَتِنَا لِسِفْرِ أَيُّوبَ، وَسَنَتَنَاوَلُ فِيهَا الْأَصْحَاحِينَ ٤٠ وَ ٤١. فِي الْأَصْحَاحِينَ السَّابِقِينَ، ٣٨ وَ ٣٩، نَحْدُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ تَكَلَّمَ أَحْيَرًا. وَدَخَلَ اللَّهُ هُنَا تَمَامًا مِثْلَمَا دَخَلَ فِي الْأَصْحَاحِينَ ٣٨ وَ ٣٩، فَلِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ، وَفِي الْآيَةِ ٦ مِنَ الْأَصْحَاحِ ٤٠: "فَأَجَابَ الرَّبُّ أَيُّوبَ مِنَ الْعَاصِفَةِ فَقَالَ". فِي الْمَحَاضِرَةِ السَّابِقَةِ نَحْنُ لَمْ نُبْرِزْ مَا سَأَفُوهُ الْآنَ. عِنْدَمَا بَدَأَ اللَّهُ حَدِيثَهُ أَحْيَرًا، لَقَدْ لَاحَظْتُمْ كَيْفَ دَخَلَ الْمَشْهَدَ لَقَدْ دَخَلَ فِي عَاصِفَةٍ. لَقَدْ كَانَ اللَّهُ صَامِتًا، وَهَذَا كَانَ جُزْءًا مِنَ الْمُسْكِةِ الَّتِي كَانَ يُوَاجِهُهَا أَيُّوبُ. اللَّهُ لَمْ يَكُنْ يَتَكَلَّمُ. اللَّهُ لَمْ يُجِبْ عَنْ أَسْئَلَةِ أَيُّوبَ. فَقَدْ تَطَّنُونَ أَنَّهُ، بِالنِّسْبَةِ إِلَى رَجُلٍ فَقَدْ كُلُّ شَيْءٍ، وَيَقِفُ عَلَى عَتَبَةِ الْمَوْتِ، قَدْ تَطَّنُونَ أَنَّ اللَّهَ سَيَأْتِي كَمَا أَتَى إِلَى إِيْلِيَا بِ "صَوْتٍ مُنْخَفِضٍ خَفِيفٍ". لَكِنْ بَدَلًا مِنْ ذَلِكَ، أَتَى فِي عَاصِفَةٍ. وَالْمَقْصُودُ مِنْ ذَلِكَ، كَمَا أَعْتَقِدُ، تَوْضِيحُ أَنَّ اللَّهَ مُخْتَلِفٌ عَنِ الطَّرِيقَةِ الَّتِي قَدْ نَظَّنُّهُ عَلَيْهَا.

الآن، فِي هَذَا الظُّهُورِ الثَّانِي فِي الْأَصْحَاحِ ٤٠، نَتَعَرَّفُ عَلَى شَخْصِيَّتَيْنِ جَدِيدَتَيْنِ، كَانَتَيْنِ جَدِيدَيْنِ. الْأَوَّلُ فِي الْآيَةِ ١٥ مِنَ الْأَصْحَاحِ ٤٠ "هُوَذَا بَهِيمُوثٌ". سَنَتَكَلَّمُ عَنْهُ بَعْدَ لِحَظَاتٍ. وَالثَّانِي نَحْدُهُ فِي الْآيَةِ الْأُولَى مِنَ الْأَصْحَاحِ ٤١، نَتَعَرَّفُ عَلَى كَائِنٍ آخَرَ وَهُوَ لَوِيثَانٌ. بَهِيمُوثٌ وَ لَوِيثَانٌ. إِنَّهَا مَعْرَكَةٌ كَلِمَاتٍ، مَعْرَكَةٌ أَفْكَارٍ، مَعْرَكَةٌ مَعْرِفَةٍ، مَعْرَكَةٌ حِكْمَةٍ وَمَعْنَى الْحَيَاةِ. إِنَّهَا مَعْرَكَةٌ لِتَفْسِيرِ الْأَلْمِ وَالْمَعَانَاةِ. لَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ أَيُّوبَ يَلْزِمُ الصَّمْتَ حَقًّا بَعْدَمَا طَرَحَ عَلَيْهِ سِلْسِلَةً مِنَ الْأَسْئَلَةِ، ٦٠ أَوْ ٦٥ سُؤَالَ عَنِ التَّبَرِّ وَعَنِ الْأَحْجَارِ الْكَرِيمَةِ الَّتِي فِي الْأَرْضِ، أَسْئَلَةٍ عَنِ الطُّيُورِ وَعَنِ الْأَسْمَاكِ وَعَمَّا يَتَعَلَّقُ بِالطَّفْسِ، أَسْئَلَةٍ عَنِ الْأَفْلَاكِ وَعَنِ الْكُونِ وَمَا إِلَى ذَلِكَ. لَكِنَّ أَيُّوبَ لَمْ يُجِبْ عَنْ أَيِّ مِنْهَا. لَقَدْ التَّرَمَّ أَيُّوبُ الصَّمْتَ. لَكِنَّهُ لَمْ يَلْتَزِمْ كِفَايَةً. لِذَا قَدْ أَتَى اللَّهُ إِلَيْهِ مَرَّةً أُخْرَى. إِذْ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَفْهَمَ شَيْئًا يَتَعَلَّقُ بِطَبِيعَةِ اللَّهِ نَفْسِهِ.

لِذَا دَعَوْنَا نَنْتَقِلُ إِلَى الْآيَةِ ١٥: "هُوَذَا بَهِيمُوثٌ الَّذِي صَنَعْتُهُ مَعَكَ يَا كُلُّ الْعُشْبِ مِثْلَ الْبَقْرِ. هَا هِيَ قُوَّتُهُ فِي مَتْنِيهِ، وَشِدَّتُهُ فِي عَضَلِ بَطْنِهِ. يَخْفِضُ ذَنْبَهُ كَأَرْزَةٍ. عُرُوقُ فَخْذَيْهِ مَضْفُورَةٌ. عِظَامُهُ أَنَابِيْبٌ نُحَاسٍ، جِرْمُهَا حَدِيدٌ مَمْطُولٌ".

وَالِي بَقِيَّةِ النَّصِّ. مَنْ أَوْ مَا هُوَ بَهِيمُوثٌ؟ بَهِيمُوثٌ هُوَ أَحَدُ الْحَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ. وَهَذَا أَتَى الْإِسْمُ فِي صِيغَةِ الْجَمْعِ. وَيَعْنِي حَرْفِيًّا "وَحْشًا" إِنَّمَا فِي صِيغَةِ الْجَمْعِ، أَيِ إِحْدَى صِيغِ الْمُبَالَغَةِ لِمَفْهُومِ "الْوَحْشِ". وَأَثْنَاءَ مَا أَنْتُمْ تُفَكِّرُونَ فِي مَا هِيَ بَهِيمُوثٌ، دَعَوْنَا نَتَقَدَّمُ إِلَى الْآيَةِ الْأُولَى مِنَ الْأَصْحَاحِ ٤١. إِذْ نَحْدُ لَوِيثَانًا، وَذَلِكَ وَحْشٌ بَحْرِيٌّ. فِي التَّرْجَمَةِ السَّبْعِينِيَّةِ، الَّتِي هِيَ التَّرْجَمَةُ الْيُونَانِيَّةُ لِلْعَهْدِ الْقَدِيمِ مِنَ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، فِي هَذِهِ التَّرْجَمَةِ نَحْدُ أَنَّ كَلِمَةَ لَوِيثَانًا مُتْرَجَمَةٌ إِلَى

"تَبَيَّنَ". فَالآن، مَنْ أَوْ مَا هَذَانِ الْوَحْشَانِ؟ "أَتَصْطَادُ لَوِيَاثَانَ بِشِصِّ، أَوْ تَضَعُ لِسَانَهُ بِجَبَلٍ؟ أَتَضَعُ أَسَلَةَ فِي خَطْمِهِ، أَمْ تَتْفُبُ فَكَّهُ بِجِرَامَةٍ؟ أَيُكْثِرُ التَّضَرُّعَاتِ إِلَيْكَ، أَمْ يَتَكَلَّمُ مَعَكَ بِاللِّبَنِ؟ هَلْ يَقْطَعُ مَعَكَ عَهْدًا فَتَتَّخِذُهُ عَبْدًا مُؤَبَّدًا؟"

وَالِي بَقِيَّةِ النَّصِّ. الْأَوَّلُ وَحْشٌ بَرِّيٌّ، وَالثَّانِي وَحْشٌ بَحْرِيٌّ. فَحَالِيًّا، هُنَاكَ مَنْ يَقُولُونَ بِهِمُوثٌ وَلَوِيَاثَانُ حَيَوَانَاتٌ كَانَتْ حَقِيقِيَّةً وَكَانَتْ مَوْجُودَةً مِنْ بَدْءِ الْخَلْقِ وَحَتَّى الطُّوفَانَ؛ إِنَّهَا وَحُوشٌ مَا قَبْلَ التَّارِيخِ مِثْلَ دِينَاصُورِ تِي رِكْسٍ. فَهَذَا دِينَاصُورٌ بَرِّيٌّ مِنْ نَوْعٍ مَا؛ أَمَّا الْآخَرُ، فَهُوَ وَحْشٌ بَحْرِيٌّ؛ وَحْشٌ عَظِيمٌ رُبَّمَا انْقَرَضَ الْآنَ.

وَهُنَاكَ مَنْ يَعْتَقِدُونَ، عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ، مِنْ مَنْظُورِ الْخَلْقِ وَالطُّوفَانَ، وَنَظَرِيَّةِ الْكُورَارِثِ، أَنَّ تَفْسِيرَ سِجَلَاتِ الْحَفْرِيَّاتِ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ، يَكْمُنُ فِي طُوفَانٍ عَالَمِيٍّ، وَهَذَا بِدَوْرِهِ يُفَسِّرُ انْقِرَاضَ الْكَائِنَاتِ الْحَيَّةِ، وَغَيْرِهَا. مِنْ تَمَّ لَوِيَاثَانَ رُبَّمَا هُوَ التَّيْرَاصُورُ الْمُجَنِّحُ، وَبِهِمُوثٌ رُبَّمَا هُوَ بُرُونْتُوَصُورٌ. نَعَمْ هُنَاكَ مَنْ يُحَدِّدُ هَدْيَيْنِ الْوَحْشَيْنِ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ.

ثُمَّ فِي عَصْرِ التَّهْضَةِ، أَيِ الْقَرْنِ ١٤ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، ظَهَرَتْ حَرَكَةٌ فِي عَصْرِ التَّهْضَةِ حَدَدَتْ هَدْيَيْنِ الْمَخْلُوقَيْنِ بَأَنَّهُمَا مَخْلُوقَانِ يَعِيشَانِ إِلَى الْآنِ. فـ"بِهِمُوثٌ" كَلِمَةٌ شَائِعَةٌ فِي الْأَدَبِ الْإِنْجِلِيزِيِّ، فِي أَدَبِ عَصْرِ التَّهْضَةِ وَأَدَبِ مَا بَعْدَ عَصْرِ التَّهْضَةِ، بِمَعْنَى فِيلٍ. إِذَنْ، فَبِهِمُوثٌ، هُوَ الْفِيلُ. وَحَدِيثًا، عُرِفَ عَلَى أَنَّهُ حَيَوَانٌ فَرَسِ التَّهْرِ. إِذْ يُمَكِّنُكُمْ قِرَاءَةُ الْوَصْفِ مِنَ الْمَقْطَعِ الْمُمْتَدِّ مِنَ الْآيَةِ ١٥ إِلَى الْآيَةِ ٢٤ مِنَ الْأَصْحَاحِ ٤٠. هَلْ يَتَطَابَقُ هَذَا الْوَصْفُ كُلِّيًّا مَعَ وَصْفِ أَيِّ مِنَ الْفِيلِ أَوْ، دَعَوْنَا نَسَائِرُهُ بَعْضَ الشَّيْءِ الْآنَ، مَعَ فَرَسِ التَّهْرِ؟ فَالْإِجَابَةُ هِيَ لَا، لَيْسَ فِي الْوَاقِعِ. فَهَذَا النَّصُّ شِعْرِيٌّ. فَهُوَ نَصٌّ يَحْمِلُ بَعْضَ الْمُبَالَغَةِ. كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ وَصْفًا كَامِلًا لِحَيَوَانِ فَرَسِ التَّهْرِ. وَبِالْمِثْلِ، يَقُولُونَ إِنَّ لَوِيَاثَانَ، مُجَرَّدُ تِمْسَاحٍ. فَهَا أَنْتُمْ أَمَامَ تَفْسِيرٍ يَقُولُ إِنَّ أَحَدَهُمْ مُجَرَّدُ فَرَسِ نَهْرٍ، وَالْآخَرُ مُجَرَّدُ تِمْسَاحٍ. دَعَوْنَا نَسَائِرُ هَذَا الْآنَ.

كَمَا أَنَّ هُنَاكَ تَفْسِيرَاتٍ أُخْرَى مُعَايِرَةٌ تُحَدِّدُ بِهِمُوثٌ وَلَوِيَاثَانَ. رُبَّمَا تُحَدِّدُ فِي صَوِّهِ اسْتِخْدَامَ هَدْيَيْنِ الْحَيَوَانَيْنِ فِي أَدَبِ الشَّرْقِ الْأَدْنَى الْقَدِيمِ الَّذِي عَاصَرْتَهُ كِتَابَةُ سَفْرِ أُيُوبَ بِأَنَّ هَدْيَيْنِ الْمَخْلُوقَيْنِ مُجَرَّدُ مَخْلُوقَاتٍ شَيْطَانِيَّةٍ. فَالسُّؤَالُ قَدْ طُرِحَ فِي سَفْرِ أُيُوبَ، وَيَقُولُ: مَا الَّذِي رُبَّمَا قَدْ حَدَثَ لِلشَّيْطَانِ؟ فَقَدْ ظَهَرَ فِي الْأَصْحَاحَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ مِنَ السَّفْرِ؛ لَكِنَّهُ لَمْ يَظْهَرْ مُجَرَّدًا قَطُّ. لَمْ يَظْهَرْ مُنْذُ ذَلِكَ الْحِينِ، فَلَرُبَّمَا تُرَجِّحُونَ أَنَّ الْأَلَمَ الْوَاقِعَ عَلَى أُيُوبَ بِسَبَبِ الشَّيْطَانِ. فِي النِّهَايَةِ، لَقَدْ قُدِّمَ لَنَا هَذَا التَّفْسِيرُ فِي الْبِدَايَةِ، وَهُوَ أَنَّ لِلشَّيْطَانِ دَوْرًا يَقُومُ بِهِ. نَعَمْ، إِنَّهُ لَيْسَ التَّفْسِيرُ الشَّامِلُ الْوَاقِعِي، لَكِنَّ لَدَيْهِ دَوْرًا يُؤَدِّيهِ فِي الْأَلَمِ وَالْمُعَانَاةِ. إِنَّمَا لَا ذِكْرَ لِلشَّيْطَانِ فِي الْأَصْحَاحَاتِ الْخِتَامِيَّةِ مِنْ سَفْرِ أُيُوبَ، وَهُنَاكَ جِدَالٌ قَائِمٌ وَالْعَدِيدُ مِنَ التَّفْسِيرَاتِ الْمُعَاَصِرَةِ تَقُولُ إِنَّ أُيُوبَ عَرَفَ بِهِمُوثٌ وَلَوِيَاثَانَ بِأَنَّهُمَا شَيْطَانَانِ، وَهَذَا مَا يُقَالُ هُنَا بِأَنَّ الشَّيْطَانَ لَهُ دَوْرٌ فِي تَفْسِيرِ السَّبَبِ، فِي الْعُمُومِ، بِأَنَّ الْعَالَمَ يَنْطَوِي عَلَى الْمُعَانَاةِ. أَنَا لَسْتُ مُقْتَبِعًا بِأَنَّ هَذَا هُوَ التَّفْسِيرُ الَّذِي أُيُوبُ نَفْسُهُ قَدْ فَهَمَهُ، لَا لِشَيْءٍ سِوَى أَنَّهُ مَكْتُوبٌ هُنَا. إِنَّ الْأَمْرَ يَتَطَلَّبُ بَعْضَ الْبَحْثِ لِلْوُصُولِ إِلَى هَذِهِ النُّقْطَةِ، كَمَا أَنِّي أَشْكُ فِي أَنَّ أُيُوبَ نَفْسُهُ فَهَمَ الْأَمْرَ هَكَذَا. أَمَّا أَنَا فَلَطَّلَمَّا مِلْتُ إِلَى الرَّأْيِ الْقَائِلِ بِأَنَّ بِهِمُوثٌ

وَلَوَيَاتَانِ رَبَّمَا يَكُونَانِ حَيَوَانِي فَرَسِ النَّهْرِ وَالتَّمْسَاحِ. فِكْلَايْنِز (Klines)، عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ، الَّذِي كَتَبَ تَفْسِيرًا مُعَاَصِرًا صَخْمًا أَفْرَدَهُ فِي ٣ مَجَلَّدَاتٍ عَنِ سَفَرِ أَيُّوبَ، رَبَّمَا يَكُونُ أَكْبَرَ وَأَصْحَمَ تَفْسِيرٍ لِسَفَرِ أَيُّوبَ كُتِبَ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَلَكِنْ بِكُلِّ تَأَكِيدٍ فِي ١٠٠ عَامِ الْأَخِيرَةِ، وَهُوَ كَذَلِكَ إِلَى حَدِّ كَبِيرٍ، فَهُوَ الْحَبِيرُ فِيمَا هُوَ مُرْتَبِطٌ بِاللُّغَةِ الْعَبْرِيَّةِ فِي سَفَرِ أَيُّوبَ، وَقَدْ كُنْتُ أَنَا مَفْتُونًا بِرُؤْيَا أَنَّهُ عِنْدَمَا نَشَرَ آخِرًا مُجَلَّدَهُ الثَّالِثَ وَالْأَخِيرَ، جَاءَ أَيضًا عَلَى ذِكْرِ وَجْهِهِ النَّظَرِ الْقَائِلَةَ بِأَنَّ بَهِيمُوثَ هُوَ فَرَسُ النَّهْرِ وَلَوَيَاتَانُ هُوَ التَّمْسَاحُ.

حَسَنًا، دَعَوْنَا نُفَكِّرُ فِي هَذَا لِبِضْعِ دَقَائِقٍ، فَرَسُ نَهْرٍ وَتَمْسَاحٌ. فَهَذَا قَدْ آتَى اللَّهُ إِلَيْكُمْ، أَنْتُمْ الْمُتَأَلِّمِينَ، أَنْتُمْ الَّذِينَ تَمُرُّونَ بِمَاسَاةٍ مَرِيَّةٍ وَتَمُرُّونَ بِضَيْقَةٍ خَائِفَةٍ فِي حَيَاتِكُمْ، وَيَقُولُ لَكُمْ اللَّهُ: "هَلْ تَأَمَّلْتُمْ قَبْلًا حَيَوَانَ فَرَسِ النَّهْرِ؟" فَأَنْتُمْ قَدْ تَرَعَبُونَ بِمَجَاوِبَتِهِ بِالْقَوْلِ: "أَحَقًّا؟ فَمَا عِلَاقَةُ حَيَوَانِ فَرَسِ النَّهْرِ بِأَيِّ شَيْءٍ مُتَعَلِّقٍ بِالْأَلَمِ وَالْمُعَانَاةِ؟" أَوْ حَتَّى مَا عِلَاقَةُ التَّمْسَاحِ؟ أَوْ، بِمَا أَنْتَا فِي فُلُورِيدَا، تَمْسَاحِ الْقَاطُورِ؟

مُنْذُ عَشْرَاتِ السِّنِينَ، كُنْتُ أَلْفِي عِظَةً فِي مَدِينَةِ تَالَاهَاسِي بِوِلَايَةِ فُلُورِيدَا. أَتَذَكَّرُ هَذِهِ الْمُنَاسَبَةَ جَيِّدًا. فَكُنْتُ أَعْظُ مِنْ هَذَا الْمَقْطَعِ، الْآيَاتِ الْحِتَامِيَّةِ مِنَ الْأَصْحَاحِ ٣٨. وَقَدْ شَدَدْتُ عَلَى نُقْطَةٍ، وَأَنَا أَشَدُّ عَلَيْهَا الْآنَ، وَهِيَ أَنَّ لَوَيَاتَانَ رَبَّمَا يَكُونُ تَمْسَاحًا قَاطُورِيًّا. وَقَدْ غَابَ عَنِّي فِكْرِي أَيْنَ أَعْظُ، لَذَا قُلْتُ: "لَا أَهْتَمُّ كَثِيرًا إِذَا اخْتَفَتِ تَمَاسِيحُ الْعَالَمِ غَدًا. وَظَهَرَتْ رُدُودُ أَفْعَالٍ مِنْ شَعْبِ الْكَنِيْسَةِ. بَعْضُهَا كَانَ إِيجَابِيًّا لِلْعَايَةِ، وَلِلْبَعْضِ الْآخَرِ بِكُلِّ تَأَكِيدٍ رَأْيِي مُعَاكِسٌ، لِأَنَّهُمْ مُهْتَمُّونَ بِمَتَابَعَةِ أَخْبَارِ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ وَيُحِبُّونَهَا، لِذَا تَوَجَّحَ عَلَيَّ اسْتِدْرَاكُ مَا قُلْتُهُ فِي لِحْظَتِهَا. لَكِنْ دَعَوْنَا نَظْرُحُ السُّؤَالِ التَّالِي: "لِمَاذَا يَخْلُقُ اللَّهُ فَرَسَ النَّهْرِ؟" لِمَاذَا خَلَقَ اللَّهُ فَرَسَ النَّهْرِ؟ إِنَّهُ أَحَدُ أَعْظَمِ الْحَيَوَانَاتِ فِي الْعَالَمِ. فَقَدْ قَتَلَ فَرَسُ النَّهْرِ كَثِيرِينَ فِي أَفْرِيْقِيَا. هَلْ رَأَيْتُمْ حَيَوَانَ فَرَسِ النَّهْرِ قَبْلًا عَن قُرْبٍ وَجْهًا لَوَجْهِهِ؟ إِنَّهُ يَبْدُو كَتَشْكِيْلَةٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنَ الْأَعْضَاءِ مُجْمَعَتٍ مَعًا. إِنَّهُ تَكْوِينٌ غَيْرٌ مُتَنَاسِقٍ. ثَلَاثُ حِطُّونَ الْأَرْجُلِ الْمُتَنَفِّحَةِ، وَالْأَرْجُلُ الْقَصِيرَةَ هَذِهِ، وَذَلِكَ الذَّيْلُ الْقَصِيرَ الْمُضْحِكِ، وَالرَّأْسُ؟ لَكِنْ لِمَاذَا؟ أَوِ التَّمْسَاحُ، لِمَاذَا خَلَقَ اللَّهُ التَّمْسَاحَ؟ لَقَدْ طَرَحْتُ هَذَا السُّؤَالِ ذَاتَ مَرَّةٍ عَلَى صَدِيقِي لِي. لِمَاذَا خَلَقَ اللَّهُ التَّمْسَاحَ؟ فَأَجَابَ: "مِنْ أَجْلِ صُنْعِ حَقَائِبِ الْيَدِ، وَالْأَحْذِيَّةِ". أَتَعْلَمُونَ؟ بِصَرَاحَةٍ لَقَدْ تَبَرَّعْتُ بِأَمْوَالِي، لَيْسَ مَبْلَغًا طَائِلًا، لِكَيْ تَبَرَّعْتُ بِبِضْعَةِ دُولَارَاتٍ لِإِنْقَاذِ الدُّبِّ الْقُطْبِيِّ. كُنْتُ لِأَكُونَ فِي غَايَةِ الْأَسْفِ، هَذَا لَيْسَ تَصْرِيحًا سِيَاسِيًّا، لَكِنِّي كُنْتُ سَأَكُونُ فِي غَايَةِ الْأَسْفِ لَوْ اخْتَفَتِ الدَّبَبَةُ الْقُطْبِيَّةُ مِنَ الْعَالَمِ. لَكَانَتْ سَتَكُونُ مَاسَاةً. تَخَيَّلُوا عَالَمًا بِلا دَبَبَةٍ قُطْبِيَّةٍ. وَبِالنَّظَرِ إِلَى مَا يَحْدُثُ لِلْمُنَاحِ، فَمَرَّةً أُخْرَى، هَذَا لَيْسَ بَيَانًا سِيَاسِيًّا، بِالنَّظَرِ إِلَى مَا يَحْدُثُ لِلْمُنَاحِ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ، فَإِنَّ الدَّبَبَةَ الْقُطْبِيَّةَ تَمُرُّ بِوَقْتٍ عَصِيبٍ. أَنَا لَا أَهْتَمُّ كَثِيرًا إِذَا لَمْ تَتَوَقَّرَ تَمَاسِيحُ فِي الْعَالَمِ. فَإِذَا كُنَّا سَنَسْتَيْقِظُ غَدًا وَنَحْدُ بَعْضَ الْمُنْظَمَاتِ تُحَاوِلُ جَمْعَ الْأَمْوَالِ مِنْ أَجْلِ إِنْقَاذِ حَيَاةِ التَّمْسَاحِ، فَلَنْ يَحْصُلُوا عَلَى سَنَتِ مِئِي. لِمَاذَا خَلَقَ اللَّهُ التَّمْسَاحَ؟ رَبَّمَا قَدْ شَاهَدْتُمْ أَحَدَ الْأَفْلَامِ عَلَى مَوْجِ الْيُوتِيُوبِ عَن مَحْمِيَّةِ سِيرِينِغِيَّتِي أَوْ مَكَانٍ شَبِيهِ بِهَا، مَحْمِيَّةٌ تَضُمُّ تَمَاسِيحَ فِي مُسْتَنْقَعَاتِهَا، وَعَلَى أَرْضِهَا جَامُوسٌ بَرِّيٌّ يَأْتِي لِيَشْرَبَ

مِنْ مِيَاهِ هَذَا الْمُسْتَنْقَعِ الصَّغِيرِ الَّذِي يَتَقَلَّصُ حَجْمُهُ بِارْتِفَاعِ دَرَجَةِ الْحَرَارَةِ. فَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ مَاذَا يَحْدُثُ حِينَهَا. إِذْ يَقْفِرُ التَّمْسَاحُ مِنَ الْمِيَاهِ مُطْبِقًا فَكَيْهِ حَوْلَ رَأْسِ الْجَامُوسِ الْبَرِّيِّ، أَوْ ذَلِكَ الْعَجَلِ الصَّغِيرِ أَوْ أَيِّ حَيَوَانٍ آخَرَ، وَمَا أَكْثَرَ هَذِهِ الْأَفْلَامَ. كَمَا أَنَّهَا مُسَلِّيَةٌ. وَكُلُّ فَرْدٍ مِنْكُمْ يُشْفِقُ عَلَى الْجَامُوسِ الْبَرِّيِّ. فَلَا أَحَدٌ يُشَجِّعُ التَّمْسَاحَ عَلَى هُجُومِهِ. سَيَكُونُ هُنَاكَ خَطْبٌ مَا فِيكَ إِذَا كُنْتَ تُشَجِّعُ التَّمْسَاحَ وَتَفْرَحُ لَهُجُومِهِ. إِذَنْ، لِمَاذَا خَلَقَ اللَّهُ التَّمْسَاحَ؟

مَاذَا يَحْدُثُ هُنَا؟ لِمَاذَا يَذْكُرُ اللَّهُ بَهِيمُوتَ وَلَوِيَاثَانَ؟ مَا عَلاَقَةُ هَذَا بِأَيِّ شَيْءٍ يَحْدُثُ؟ مَا عَلاَقَةُ هَذَا بِالْأَلَمِ؟ كَمَا يَقُولُ دِيرِيك كيندر (Derek Kinder) فِي تَفْسِيرِهِ لِسَفَرِ أَيُّوبَ: مَا السَّبَبُ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ قَدْ خَلَقَ اللَّهُ فَرَسَ التَّهْرِ؟ وَالْإِجَابَةُ هِيَ أَنِّي لَا أَعْرِفُ. أَنَا لَا أَعْرِفُ. لَيْسَتْ لَدَيَّ أَدْنَى فِكْرَةٍ. وَالْأَمْرُ ذَاتُهُ يَنْطَبِقُ عَلَى الْأَلَمِ. لِمَاذَا يُوقِعُ اللَّهُ الْأَلَمَ؟ أَنَا لَا أَعْرِفُ. أَنَا حَقًّا لَا أَعْلَمُ. لَيْسَتْ لَدَيَّ أَيُّهُ إِجَابَةٌ. لِمَاذَا يَتَأَلَّمُ الْإِنْسَانُ الْبَارُّ؟ وَلِمَاذَا يُؤَلِّدُ الْبَعْضُ بِأَمْرَاضٍ مُرَوِّعَةٍ؟ أَطْفَلَانَا مِنْ ذَوِي الْإِحْتِيَاجَاتِ الْخَاصَّةِ، الَّذِينَ نُحِبُّهُمْ وَعَالِبًا مَا أَعْتَقِدُ أَنَّهُمْ مَلَائِكَةٌ قَدْ أُرْسِلُوا لِإِحْتِبَارِنَا. لِمَاذَا؟ أَنَا لَا أَعْرِفُ. أَنَا حَقًّا لَا أَعْلَمُ. وَالْأَمْرُ ذَاتُهُ يَنْطَبِقُ عَلَى الْأَلَمِ. لَيْسَ مِنَ الْمُهْمِّ أَنْ تَعْلَمَ. إِنَّمَا الْمُهْمُّ أَنَّهُ هُوَ يَعْلَمُ.

الآن، دَعُونَا نَعُودُ إِلَى السُّؤَالِ مَرَّةً أُخْرَى. لِمَاذَا خَلَقَ اللَّهُ التَّمْسَاحَ؟ مَاذَا تَكُونُ الْإِجَابَةُ؟ فَالْإِجَابَةُ هِيَ، كَمَا كُلُّ طِفْلِ حَفِظَ دَلِيلَ الْأَسْئَلَةِ وَالْأَجُوبَةَ يَعْرِفُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ خَلَقَ التَّمْسَاحَ لِمَجْدِهِ. لِيَتَمَجَّدَ. لِمَاذَا الْأَلَمُ فِي الْعَالَمِ؟ لِمَجْدِ اللَّهِ. نَعَمْ، بِوَاسِطَةِ الْأَلَمِ وَمِنْ خِلَالِ الْمَعَانَاةِ، يَتَمَجَّدُ اللَّهُ دَوْمًا. تَأْمَلْ فَقَطْ فِي جَانِبٍ وَاحِدٍ بَسِيطٍ مِنْهُ. وَهُوَ فِي الْوَاقِعِ لَيْسَ جَانِبًا بَسِيطًا. إِنَّهُ الرَّبُّ يَسُوعُ الْمَسِيحُ. لَقَدْ تَمَجَّدَ اللَّهُ بِإِرْسَالِ الرَّبِّ يَسُوعَ. إِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ أَلَمٌ، إِنْ لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ مَعَانَاةٌ، إِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ احْتِيَاجٌ مِنْ أَيِّ تَوْجَعٍ، فَلِمَاذَا أَتَى الرَّبُّ يَسُوعَ مِنَ الْأَسَاسِ؟ وَالْحَقِيقَةُ هِيَ أَنَّهُ قَدْ أَتَى، وَالْحَقِيقَةُ هِيَ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ يُعَلِّمُنَا شَيْئًا مِنْ جَوْهَرِ مَحَبَّةِ اللَّهِ لَنَا وَرَحْمَتِهِ عَلَيْنَا. نَحْدُ رَابِطًا هُنَا. إِنَّ اللَّهَ يَتَمَجَّدُ حَتَّى مِنْ خِلَالِ الْأَلَمِ. فَقَدْ قَالَ بَطْرُسُ فِي يَوْمِ الْخُمُسِيِّنَ: "أَنْتُمْ مَنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ، أَنْتُمْ أَخَذْتُمْوهُ وَقَتَلْتُمْوهُ. لَكِنْ كَانَ كُلُّ هَذَا بِحَسَبِ مَشُورَةِ اللَّهِ الْمُعَيَّنَةِ وَسَابِقِ مَعْرِفَتِهِ".

يَحْمِلُ هَذَا الْمَقْطَعُ شَيْئًا آخَرَ، الشَّيْءُ الَّذِي رَبَّمَا قَدْ لَاحِظَهُ الْبَعْضُ، حِيَالِ بَهِيمُوتَ وَلَوِيَاثَانَ. وَرَبَّمَا قَدْ اسْتَرْسَلَ فِي هَذَا الشَّيْءِ بَعْضُ الْوَقْتِ. وَهُوَ أَنَّ بَهِيمُوتَ وَلَوِيَاثَانَ قَدْ يَكُونَانِ مَجْرَدَ مَخْلُوقَيْنِ خَيَالِيَيْنِ غَيْرِ حَقِيقِيَيْنِ. هُنَاكَ احْتِمَالٌ قَائِمٌ بِأَنَّهُمَا مَخْلُوقَانِ أُسْطُورِيَّانِ. لَقَدْ كَانَتْ كَاتِنَاتٍ لَهَا مَعْرَى هَامٌ جِدًّا فِي الشَّرْقِ الْأَدْنَى الْقَدِيمِ. وَرَبَّمَا، أَوْ مِنَ الْمُحْتَمَلِ أَنَّهَا مَجْرَدُ مَخْلُوقَاتٍ خَيَالِيَّةٍ. فَالْأَمُورُ الْخَيَالِيَّةُ لَهَا تَأْثِيرٌ بَالِغٌ فِيْنَا. وَيَتَبَادَرُ إِلَى ذَهْنِ الْمَرْءِ مِنَّا، عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ، مِصْرُ؛ فِي الْخُلْفِيَّةِ الْمِصْرِيَّةِ مَثَلًا هُنَاكَ الْإِلَهُ سِيتِي (Seti)، الْإِلَهُ الظُّلْمَةُ، وَالْإِلَهُ حُورُسُ (Horus)، الْإِلَهُ النُّورِ، وَكَانَ كِلَاهُمَا مَخْلُوقَيْنِ خَيَالِيَيْنِ. وَفِي الْأَسَاطِيرِ الْكِنْعَانِيَّةِ، يَرَصَّدُ إِلَهُ الْمَوْتِ فِي الْمُسْتَنْقَعَاتِ؛ الْحَالَةُ مُشَابِهَةٌ لِلْعَايَةِ لِلْوَصْفِ الْوَارِدِ عَنْ مَكَانٍ وَصَفِ لَوِيَاثَانَ مَثَلًا. مَخْلُوقَاتٌ تَتَمَتَّعُ، عَلَى الْأَقْلَ فِي مَخِيلَةِ الْبَشَرِ، تَتَمَتَّعُ بِقُوَى عَلَى الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ، وَقُوَى

عَلَى الضَرْبِ بِالْأَلَمِ. لِذَلِكَ هُنَاكَ مَنْ يُفَسِّرُونَ هَذَا الْمَقْطَعِ قَائِلِينَ إِنَّ مَا يَحْدُثُ هُنَا هُوَ أَنَّ بَهِيمُوتَ وَلَوِيَاثَانَ قَدْ ذُكِرَا لِيُفَكَّرَ فِي أَسْوَأِ مَا يَتَّبَادِرُ إِلَى مُحْيِلَتِكَ، وَتُفَكَّرَ فِي أَسْوَأِ كَابُوسِ يَرَاوِدُكَ. رَبُّمَا يَتَذَكَّرُ بَعْضُكُمْ "تَارِئِيًا: رِحْلَةَ سَفِينَةِ دَاوُنَ تَرِيدِر"، وَإِدْمُونْدَ وَالْجَزِيرَةَ الْمُظْلِمَةَ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ. تَتَذَكَّرُونَ حِينَ تَحْيَلُ مَخْلُوقِ الْكَرَاكِينِ الْبَحْرِيِّ الْأُسْطُورِيِّ. أَتَذَكَّرُونَ هَذَا؟ يَا لَهُ مِنْ مَخْلُوقِ بَحْرِيٍّ عَظِيمٍ. إِذْ يَتَحَيَّلُ إِدْمُونْدُ هَذَا الْمَخْلُوقِ، فَيُظْهِرُ الْكَرَاكِينَ وَيُهْدِدُ بِإِعْرَاقِهِمْ وَالْقَضَاءِ عَلَيْهِمْ. رَبُّمَا أَنَّ مَا يَحْدُثُ هُنَا هُوَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُسَيِّرُ، اللَّهُ هُوَ الْمُتَسَيِّدُ، اللَّهُ هُوَ مِنْ أَكْثَرِ قُوَّةٍ مِنْ أَعْتَى الْمَخْلُوقَاتِ الَّتِي قَدْ تَتَحَيَّلُوهَا أَبَدًا. مِنَ الْمُحْتَمَلِ أَنَّ هَذَا هُوَ الْأَمْرُ. إِنَّ هَذَا لَيْسَ التَّفْسِيرَ الَّذِي أُرِيدَ أَنْ أَنْتَهِيَ إِلَيْهِ لِهَذَا الْمَقْطَعِ، لَكِنَّ هُنَاكَ الَّذِينَ، وَعَدَدُهُمْ لَيْسَ بِالْقَلِيلِ، يُحَبِّدُونَ تَفْسِيرَ هَذَا الْمَقْطَعِ عَلَى ذَلِكَ التَّحْوِ.

كَمَا أَنَّ هُنَاكَ أَمْرًا مَا آخَرَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نُلاحِظَهُ هُنَا. هُنَاكَ حَقِيقَةُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ آتَى إِلَى أَيُّوبَ. أَيُّوبُ الرَّجُلُ الَّذِي ذَاقَ أَكْثَرَ التَّجَارِبِ مَرَارَةً. لَقَدْ فَقَدَ أَبْنَاءَهُ، وَخَسِرَ ثَرْوَتَهُ، وَفَقَدَ صِحَّتَهُ، وَيَأْتِي إِلَيْهِ اللَّهُ لِيَقُولَ: "هَلْ سَبَقَ لَكَ أَنْ تَأَمَّلْتَ بَهِيمُوتَ؟ هَلْ سَبَقَ لَكَ أَنْ تَأَمَّلْتَ لَوِيَاثَانَ؟ لِمَاذَا هُمَا مَوْجُودَانِ؟" وَالْإِجَابَةُ هِيَ أَنِّي لَا أَعْرِفُ. إِلَّا أَنِّي أَعْلَمُ التَّالِي: إِنَّهُمَا مَوْجُودَانِ لِيُجَبِّدَا اللَّهَ. لَيْسَ مِنَ الْمُهِمِّ أَنْ أَفْهَمَ. الْمُهِمُّ هُوَ أَنَّهُ يَفْهَمُ، أَنَّهُ هُوَ مَنْ يَعْلَمُ، مَقْاصِدَهُ وَخُطَّتَهُ. إِلَى هُنَا يَنْبَغِي لِأَيُّوبَ أَنْ يَتَقَدَّمَ. لَيْسَ كَافِيًا لِأَيُّوبَ أَنْ يَصْمَتَ. لَيْسَ كَافِيًا لِأَيُّوبَ، بِحَسَبِ الْمَقْطَعِ الْأَوَّلِ مِنَ الْجُزْءِ الْخِتَائِيِّ، لَيْسَ كَافِيًا لِأَيُّوبَ أَنْ يَصْمَتَ وَاضْعًا يَدَهُ عَلَى فَمِهِ وَيَقُولَ: "لَنْ أُجِيبَ ثَانِيَةً". لَا بُدَّ لَهُ مِنْ أَنْ يَعْتَرِفَ. لَا بُدَّ لَهُ مِنْ أَنْ يَعِيشَ إِيمَانَهُ. لَا بُدَّ لَهُ مِنْ أَنْ يَثِقَ. لَا بُدَّ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْجُدَ أَمَامَ اللَّهِ صَاحِبِ السِّيَادَةِ وَيَتْرَكَ هَذَا الْإِلَهَ يَمْلُكُ وَيَحْكُمُ عَلَى كُلِّ جَانِبٍ مِنْ جَوَانِبِ الْحَيَاةِ، حَتَّى الْمُظْلِمِ مِنْهَا.

"وَمَنْ نَعْلَمُ" يَقُولُ بُولُسُ الرَّسُولُ فِي الْأَصْحَاحِ ٨ مِنْ رِسَالَةِ رُومِيَّةٍ: "وَمَنْ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الْأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ" أَوْ رَبُّمَا فِي تَرْجُمَةٍ أُخْرَى "وَإِنَّا نَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ جَمِيعَ الْأُمُورِ تَعْمَلُ مَعًا لِأَجْلِ الْخَيْرِ لِمُحِبِّيهِ". لَا يَقْتَصِرُ الْأَمْرُ عَلَى أَنَّ الْأَشْيَاءَ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ مِنْ خِلَالِ قُوَّةٍ مُتَّصِلَةٍ دَاخِلِ نَفْسِهَا. هَذِهِ لَيْسَتْ نَظَرَةً سَلِيمَةً عَنِ الْعَدَالَةِ الْإِلَهِيَّةِ. هَذَا لَيْسَ بِالتَّفْسِيرِ الْقَوِيمِ لَوْجُودِ الشَّرِّ. مَا عَلَيْنَا فِعْلُهُ هُوَ، مَا عَلَيْنَا قَوْلُهُ هُوَ، مَا عَلَيْنَا الْإِعْتِرَافُ بِهِ هُوَ أَنَّ اللَّهَ مَنْ يَأْمُرُ بِكُلِّ الْأَشْيَاءِ. أَمَّا أَصْلُ الْخَطِيئَةِ يَقَعُ خَارِجَ السَّبَبِيَّةِ الْمُبَاشِرَةِ الَّتِي لِلَّهِ. اللَّهُ لَيْسَ مَصْدَرِ الْخَطِيئَةِ. لَقَدْ سُمِحَ بِدُخُولِ الْخَطِيئَةِ إِلَى الْكُونِ. وَالْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ لَا يَمْدُنَا بِالْكَثِيرِ مِمَّا يُفَسِّرُ هَذَا. فَالْخَطِيئَةُ كَانَتْ مَوْجُودَةً فِي الْكُونِ قَبْلَ آدَمَ وَحَوَاءَ. وَالشَّيْطَانُ كَانَ مَوْجُودًا. لَقَدْ وَقَعَ قَبْلًا تَمَرُّدٌ وَعَصِيَانٌ فِي السَّمَاءِ. لَقَدْ تَمَرَّدَ ثُلُثُ الْمَلَائِكَةِ. وَكُلُّ مَا نَعْرِفُهُ هَذَا، يُحِيِطُهُ الْعُمُوضُ فِي الْكَثِيرِ مِنَ الْجَوَانِبِ. لَمْ يَقْدَمْ لَنَا أَيُّ تَفْسِيرٍ لِذَلِكَ. وَلَكِنَّ فِيهَا يَتَعَلَّقُ بِالْمَلِكِ أَنْتَ، وَمَعَانَاتِكَ أَنْتَ، وَتَجْرِبَتِكَ أَنْتَ، وَتَأْتِي أَمَامَ اللَّهِ وَتَقُولُ: "لِمَاذَا؟" وَ"لِمَاذَا أَنَا؟" وَ"لِمَاذَا الْآنَ؟" وَ"لِمَاذَا بِهَذِهِ الْحِدَّةِ؟" رَبُّمَا لَنْ تَتَلَقَى آيَةً إِجَابَةً عَمَّا يَحْدُثُ. فَلَا يَسْتَطِيعُ كُلُّ الْمُسِيرِينَ فِي الْعَالَمِ أَجْمَعَ تَفْسِيرَ لِهَذَا، لَكِنَّكَ تَسْتَطِيعُ رَفْعَ الْأَمْرِ إِلَى اللَّهِ وَالْقَوْلَ: "أَنَا أَعْرِفُ أَنَّكَ تَعْلَمُ. وَأَنَا أَثِقُ بِكَ". كَيْفَ أَثِقُ بِهِ؟ كَيْفَ أَثِقُ بِاللَّهِ؟ هَلْ هُوَ مَنْ أَرْسَلَ هَذَا الشَّرَّ إِلَى

العالم؟ هل يتسلط على العالم على نحو يتسم بغيرابة الأطوار؟ لا، هو الله الذي أرسل ابنه إلى العالم. أي إلى العالم؟ هذان هو الله الذي أرسل ابنه إلى العالم. هو الله الذي أحبنا قبل تأسيس العالم. فأنا أذهب إليه وأحمل إنجيله في يدي، وأفهم منه أن المسيح الرب قد مات من أجلي بسبب خطاياي وقام ثانية من أجل تبريري. فأنا أستطيع الوثوق به. فأنا أستطيع الوثوق به في خطيئي. فأنا أستطيع الوثوق به في حياتي. فأنا أستطيع الوثوق به في شدايدي. فأنا أستطيع الوثوق به في ألمي. فأنا أستطيع الوثوق به في حزني. فأنا أستطيع الوثوق به في أذيتي.

هذه ليست الرسالة الوحيدة التي يحملها سفر أيوب، فنحن قد تلقينا رسالة أخرى. يا لروعة الطريقة التي يُحْتَم بها هذا السفر في الأصحاح ٤٢. يا لها من نهاية سعيدة. وسنتناولها معاً في محاضرتنا القادمة.